كان الملك فيصل قليل الكلام ، لكنه إذا تكلم ففى كلماته القليلة مايوزن بالذهب أو بالألماس .. وكان نموذجا للهدوء والصفاء والاصالة .. لقد وهبه الله حسن الادراك ونبل الشعور وبعد النظر .. وقد علمته الحياة الكثير .. تعلم من السياسة الصدق .. وهذا شىء نادر .. وأن يكون قويما مستقيما .. وهذا أكثر ندرة .

الملك فيصل

عرفت هؤلاء

بقلم : انور السادات

فى اوائل ١٩٧٣ اصطحبت معى القذافى كطلبه فى طريقى إلى السعودية لاداء العمرة قبل حضور المؤتمر الاسلامى الذى انعقد فى لاهور بباكستان .. وذهبنا إلى الرياض وقابلنا الملك فيصل ..

وكعهدى بالملك فيصل هو رجل صديق صدوق .. ومثل اعلى للحكمة العربية فى أجلى معانيها .. واستمرت جلستنا مع الملك فيصل حوالى ثلاثة أرباع الساعة .

والملك فيصل يمتاز بذاكرة قوية جدا .. ولديه مقدرة هائلة على سرد التفاصيل بالتواريخ والاماكن .. ووصف الهيئة التى كان عليها الناس الذين يتحدث اليهم .. فعنده هذه الفراسة البدوية .

فهو يقول لك مثلا عندما يروى لك واقعة او حديثا جرى من ثلاثين أو أربعين سنة .. فلان كان يجلس رابع واحد على الشمال .. وكان يرتدى كذا وكذا .. وكان من رأى على علوبة باشا كذا .. ورأى محمود فهمى النقراشى باشا كذا .. ورددت عليه بالحرف الواحد كيت وكيت .. ! .

فالجلوس مع الملك فيصل .. جلوس مع رجل بدأ حياته السياسية وهو فى الثالثة عشرة من عمره .. فقد دفعه ابوه إلى الحياة السياسية الدولية فى سن مبكرة جدا .. وتعلم من السياسة الصدق وهذا شىء نادر .. وان يكون قويما مستقيما وهذا أكثر ندرة ..

وفى الثلاثة ارباع الساعة مع الملك فيصل .. استمع القذافى إلى عرض للقضية الفلسطينية لم يسمع له نظيرا فى حياته .. لأن الملك فيصل عبارة عن موسوعة متنقلة وشاملة لكل التفاصيل الدقيقة .. وهو يتحدث من واقع تجربته الشخصية .. فكل الذى قاله وحكاه ورواه كان هو طرفا فيه .. أى أنه اشترك فى تسجيل التاريخ كما شارك فى صنعه ..

ولكن بين الحقائق التاريخية التى قالها الملك فيصل لاول مرة .. ان الانجليز قد عرضوا على الفلسطينيين فى يوم من الأيام ان يوافقوا على هجرة خمسين الف يهودى فقط .. فاذا وافقوا على تلك قام الانجليز بتسليم فلسطين للادارة الفلسطينية ..

ولكن الفلسطينيين فى ذلك الوقت قالوا لا .. ومن ورائهم العرب الذين لا يعرفون فى الحياة السياسية غير هذه الكلمة .. وبذلك يعقدون المشكلة بدلا من حلها .. أو لعلهم لا يريدون الحل ..

ولو وافق الفلسطينيون على هذا الاقتراح لوفروا على الامة العربية متاعب كثيرة وهموما ودماء ومصائب ورجالا .. فخمسون الفا وسط هذه الملايين لا تخف .. فيمكن احتواؤهم ولا يمكن ان يشكلوا أى

وهكذا كان الملك فيصل رحمه الله .. بجانب أنه رجل تاريخ .. واشترك فى تسجيل التاريخ العربى .. كان ايضا له نظرة موضوعية ويستطيع ان يرى المستقبل .. وللاسف الشديد لم يفهم معمر القذافى الدرس ..

وكانت علاقتى بالملك فيصل رحمه الله علاقة حب واحترام .. ثم ان تجربتى الطويلة مع الملك فيصل تؤكد حقيقة واضحة .. وهى ان ما يقوله هذا الرجل ينفذه .. فالكلمة الواحدة منه قانون لا يقبل الجدل ..

وكان مثلا اعلى فى العلاقات السليمة والرجال العظام .. حتى أيام حرب اليمن وكان هناك خلاف اساسى بين الدولتين .. فان صلتى بالملك فيصل لم تنقطع .. وبذلك كانت علاقتى الوطيدة به علاقة اخوة وصداقة حتى رحل فى مارس ١٩٧٥ ..

وللملك فيصل مواقف كثيرة تدل على اصالته وفروسيته .. ولا يمكنك معها الا ان تحترمه وتحبه ..

ففى مؤتمر الخرطوم الذى انعقد فى صيف ١٩٦٧ .. التقى جمال عبدالناصر بالملك فيصل الذى كان متهما فى ذلك الوقت بانه قمة الرجعية ..

ولم يكن لفيصل شماتة فى مصر ولا فرحة بهزيمة جمال عبدالناصر .. وانما كان هناك موقف اندهش له جمال عبدالناصر نفسه .. فقد قررت السعودية والكويت وليبيا دعم مصر بما يوازى دخل قناة السويس

ولم يكن جمال عبدالناصر يتصور ان يكون الدعم اكثر من خمسة ملايين او عشرة ملايين على اكثر تقدير .. وكان هذا هو راى امير الكويت فى ذلك الوقت المرحوم عبدالله السالم الذى حاول ان يقنع فيصل به .. ولكن فوجىء الجميع وخصوصا عبدالناصر الذى كان مهزوما .. بالملك فيصل يعلن فى الاجتماع ان السعودية ستدفع خمسين مليونا من الجنيهات .. وطلب من الكويت ان تدفع ٥٥ مليونا .. ! .

وكانت قد بدأت صداقتى الشخصية بالملك فيصل منذ ان زرت الرياض بشأن المؤتمر الاسلامى الأول فى سنة ١٩٥٥ وكان وقتها ولى العهد وكانت السعودية ومصر وباكستان هى الدول المؤسسة لهذا المؤتمر .

وبرغم حرب اليمن ظللنا أصدقاء لأن معنى الصداقة عنده وعندى واحد ..

وحين ذهبت الى المغرب عام ١٩٦٩ نيابة عن عبد الناصر لأحضر أول مؤتمر اسلامى يعقد من أجل حرق المسجد الأقصى .. وقد عرف عنى أثناء المؤتمر انى واضح وصريح ولا انحاز الا للحق . بعكس ما كان يخشى الملك الحسن ملك المغرب وخشيته من موقف مصر .

والملك فيصل قليل الكلام لكنه اذا تكلم ففى كلماته القليلة ما يوزن بالذهب أو بالالماس .. والذى يعرف الملك فيصل كما اعرفه يجد ان هذا الرجل قد علمته الحياة الكثير .. وعلمته تجارب السياسة ومخالطة الشخصيات العالمية ان يكون صبورا وحليما وان يجد لكل انسان عذرا ..

ولعله قد اهتدى الى ذلك كله عندما جلس فى مواجهة جمال عبد الناصر فى السودان .. فهو امام زعيم عربى عملاق ولكنه جريح جرحا عميقا .. وامام اقسى اعدائه واعنفهم .. ولكن الموقف يقتضى ان تمتد الأيدى وتاخذ بيد القائد المجروح ..

وتلك صفات الرجل العربى الاصيل وكان الملك فيصل هو هذا الطراز من الرجال الذى لا تملك الا ان تحترمه وتحبه ..

وكما وقف الملك فيصل مع جمال عبد الناصر فى تعرضت لها مع السوفييت ..

ففى عام ١٩٧١ كانت مشاكلى مع الاتحاد السوفييتى قد تعاظمت وتعقدت .. ففى هذه السنة صفيت مراكز القوى .. ثم كان موقفنا من ثورة السودان .. كل واحدة منهما معركة كاملة مع القادة السوفييت الذين شعروا ان النظام فى مصر لم يعد تابعا لهم .. وكانت كل تصرفاتهم تدل على العداء المستتر .. وكانت النتيجة التى وصلت اليها الياس التام من الاتحاد السوفييتى ومن قادته ..

واتصلت بالملك فيصل وقلت له .. انت عندك قاذفات مقاتلة اسمها لا يتننج (Lightning) .. ؟.. قال بروحه الاخوية : نعم عندى ..

وكانت مشكلتى دائما مع الروس هى ان جميع طائراتنا ذات مدى محدود .. أما الطائرات الغربية ومنها هذه الطائرة الانجليزية طويلة المدى .. فكان الاتحاد السوفييتى دائما يريدنا ان نكون ارجلنا معلقة فى الهواء ولا ناخذ سلاحا يحسم المعركة ابدا ..

فلما اتصلت بالملك فيصل وقلت له اننى اريد هذه الطائرات .. قال : على الرحب والسعة .. سوف ابعث اليك بعشرين طائرة منها .

وكان هذا الطراز من الطائرات البريطانية الصنع قديما ومتخلفا ومستعملة فى السعودية والكويت .. ثم توقف الانجليز عن صنعها لانها شديدة التعقيد وباهظة التكاليف .. واصبح الانجليز انفسهم يكتفون بطائرات الفانتوم الامريكية ..

كنا فى ذلك الوقت فى عام ١٩٧١ .. وهى السنة التى زرت فيها الاتحاد السوفييتى مرتين .. الاولى فى مارس والثانية فى اكتوبر بعد ان توترت العلاقات بينى وبين الاتحاد السوفييتى توترا شديدا نتيجة لامرين .. الأول تصفيتى لمراكز القوى فى مايو من نفس العام .. والثانى تاييدى لنميرى ضد الثورة الشيوعية التى قامت فى السودان فى يوليه ٧١ .. وفشلت بعد ذلك .. اذ طلب منى الاتحاد السوفييتى الاعتراف بالحكومة الجديدة التى يراسها هاشم العطا .. فرفضت .. بل قلت للسفير السوفييتى اننى لن اسمح ان يقوم نظام ماركسى على حدودى ..

وقد حضر الى القاهرة يانا ماريف سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى وطلب منى بعد فشل الثورة ان اتوسط شخصيا لوقف اعدام رجل كان لهم فى حزب العمال السودانى وكان يعتبر من اكبر الشخصيات المرتبطة بهم واسمه شفيع .. واتصلت بالرئيس نميرى تليفونيا وبجانبى بانا ماريف .. ورد على قائلا « كان يمكن ذلك لو كنت كلمتنى قبل ذلك بيوم .. ولكن المحكمة حكمت عليه بالاعدام .. واعدم فعلا .. »

وقد حقد على السوفييت لموقفى من ثورة يوليو بالسودان وتوترت العلاقات توترا شديدا .. ولجاوا الى اسلوبهم المعروف وهو وقف امداد السلاح .. بل اكثر من ذلك اوقفوا امدادى بقطع الغيار للاسلحة الموجودة لدينا .. هذا طبعا بجانب استمرار رفضهم اعطاءنا طائرات طويلة المدى ..

وبعد اخذ ورد ومعاناة وافق القادة السوفيت على ان اسافر الى الاتحاد السوفييتى يوم ١١ اكتوبر .. وكنت قد طلبت قبل ذلك طائرات اللايتننج من الملك فيصل كما قلت برغم انها نوع متخلف وانها ايضا معقدة الصيانة لدرجة ان الانجليز انفسهم قد اشتكوا منها لكن الميزة الوحيدة انها طويلة المدى .. ولم نكتب هذا الاتفاق كعادتنا .. وانما مع الملك فيصل كانت الكلمة تكفى .

وفى يوم ١٠ اكتوبر اى قبل سفرى بيوم واحد .. فوجئت ببرقية من الملك فيصل يخبرنى فيها ان السعودية قد قررت ان تزودنا بالعشرين طائرة من طراز لا يتننج فورا ..

ولما تلقيت هذه البرقية ضحكت .. لان معاونى الذين كانوا معى لم يفهموا مغزى هذه البرقية .. فقد كانوا يعلمون منذ مدة اننا كنا متفقين على العشرين طائرة .. فلماذا ارسل فيصل هذه البرقية الآن .. ؟ ..

فقلت لهم .. ان هذه البرقية تدل على ان الملك فيصل سياسى فى غاية الدهاء والحنكة السياسية مضافا اليها الاصالة والقيم .. فهو قد اراد ان يشد ازرى فى مواجهة السوفييت .. ويريدنى ان اعلن رسميا اننى ساحصل من السعودية على ٢٠ طائرة .

وقد كان ..

وعندما اخبرت السوفييت بذلك جن جنونهم .. ونزل هذا الخبر على الزعماء الثلاثة بودجورنى وبريجنيف وكوسيجين كالصاعقة .. وبالذات بريجنيف ظهر وكان حية قد لدغته .. وقالوا كيف تقبل طائرات من السعودية بالذات .. والسعودية تعنى ما تعنى بالنسبة للسوفييت .. ؟ !

فقلت لبريجنيف : لقد بح صوتى من كثرة ما طلبت منكم طائرات طويلة المدى .. انا وعبد الناصر من قبلى .. بدون نتيجة وقلنا لكم نحن لا نريد هذه الطائرات للغزو .. وانما ليكون عندنا سلاح للردع نرد به على اسرائيل اذا ضربت فى العمق .. فاذا جاءت السعودية وعرضت هذه الطائرات علينا فهل نرفضها .. ؟ !

وكان فيصل عند كلمته ووعده باحسن مما وعد فقد اشترى لمصر ٣٦ طائرة ميراج من احدث طراز .. وكانت بالطبع احسن واقوى واروع من تلك الطائرات العتيقة !

وكان هذا الرجل هو حكمة التاريخ .. كان نموذجا للهدوء والصفاء والاصالة .. لقد وهبه الله حسن الادراك .. ونبل الشعور .. وبعد النظر .

وقبل حرب اكتوبر بوقت قصير .. وبالتحديد فى اغسطس ١٩٧٣ اجتمع اول مجلس اعلى للقوات المسلحة المشتركة المصرية والسورية فى مدينة الاسكندرية للاعداد والتنسيق والتجهيز للمعركة التى تحدد لها شهر اكتوبر بعد الزيارة السرية التى قام بها حافظ الاسد لى فى برج العرب .

ولكن وجد المشير احمد اسماعيل الله يرحمه ان السوريين يتراجعون ويتعللون بانهم لم يستوعبوا الاسلحة الجديدة على الرغم من ان هذه الاسلحة كانت عندهم من اكثر من سنة .. وتدربوا عليها بينما نفس هذه الاسلحة جاءتنا قبل المعركة بفترة قليلة جدا .. واستطاعت قواتنا المسلحة استيعابها تماما وبسرعة .

وكانت اهم هذه الاسلحة الـ بى . ام . بى التى يطلقون عليها القلعة المتحركة او عربة القتال المدرعة ولها كل خصائص الدبابة ولكن تحمل عددا من الجنود اكبر من الدبابة .. ومزودة بصواريخ مضادة للدبابات .. وقد اغدق الاتحاد السوفييتى سوريا بالسلاح فى عام ١٩٧٢ بعد طردى للخبراء السوفييت .. حتى ان الاسد قال لى انه اصبح لا يوجد عنده متسع لهذا الطوفان من الاسلحة فاضطر ان يستخدم بعض المدارس اثناء الاجازة الصيفية كمخازن للسلاح .. ولو رجعنا الى حرب اكتوبر نجد ان الاسرائيليين قد قاموا قبلها بـ ١٥ يوما بغارات على بعض المدارس بعينها .. ! وكانت هذه المدارس هى التى استخدمت فى تخزين السلاح !

وخطورة تاجيل الموعد الذى حدد للحرب فى شهر اكتوبر ان معنى ذلك تاجيل الحرب الى اجل غير مسمى .. لان الجولان ابتداء من شهر نوفمبر ومابعده لايصلح للعمليات العسكرية .. حتى الربيع وعندما يحل الربيع قد يتعللون باسباب اخرى .. وهكذا .

لذلك .. عندما بلغنى موقف القادة السوريين قلت لاحمد اسماعيل اننى سوف اذهب الى سوريا لمقابلة حافظ الاسد .. وطلبت زيارة السعودية وقطر لمدة يومين .. لسببين .. الاول اننى كنت اريد ابلاغ الملك فيصل والشيخ خليفة بان المعركة وشيكة .. وايضا لاعطى احمد اسماعيل الفرصة لانهاء المؤتمر الذى عقد فى الاسكندرية ويرسل القادة السوريين الى سوريا لاننى اردت ان يكون وزير الدفاع السورى فى دمشق اثناء زيارتى لها ..

وقد دار بينى وبين الملك فيصل حوار طويل .. اثناء زيارتى له فى اواخر اغسطس ١٩٧٣ ..

قلت له : سوف نحارب اسرائيل بائن الله .. وقد اتفقت مع الرئيس حافظ الأسد على ذلك .

ورفع الرجل راسه الى السماء .. ودعا الله لنا بالنصر .. ثم قال : يافخامة الرئيس .. حافظ الاسد هذا اولا بعنى .. ثانيا علوى .. فكيف تدخل معه حربا وتطمئن اليه .. ! .

واخذت خلال ربع ساعة اطمئن الملك فيصل على حافظ الاسد ولكنه سكت على مضض ثم سالنى : ماهو الدور المطلوب منى .. ؟

قلت : انا لا اطلب شيئا ابدا الا ان تاخذ موقفك من معركة ستحدد مصير الأمة العربية فى الأجيال المقبلة كلها ..

قال : لى طلب وحيد .. اذا قمتم بحرب فلاتوقفوها بعد ساعات او ايام قليلة .. اجعلوها معركة طويلة .. فاذا طالت استطعنا ان نكون موقفا عربيا موحدا ..

لاانسى هذه العبارة ابدا .. انها عبارة فى منتهى الحكمة السياسية .. لأن تكوين موقف عربى يعنى ان تدخل الأمة العربية كلها المعركة .. ولن تدخل الأمة العربية كلها المعركة الا اذا ثبت فعلا اننا نستطيع ان نقوم بحرب طويلة مع اسرائيل بعد ان فقد العرب الثقة فى نفوسهم .

ولن يتاتى ذلك الا بمعركة طويلة ومرور بعض الوقت ..

وكان فيصل على حق فانه لو لم تستمر المعارك لما دخل سلاح البترول الى المعركة لاننا جميعا نذكر ان البترول لم يدخل المعركة الا بعد مرور عشرة ايام من بدء المعارك .. ولو كنا قد نفذنا طلب البعث العلوى بايقاف اطلاق النار بعد ٤٨ ساعة فقط من بداية الحرب لما تحقق اى انتصار ولما تدخل البترول فى المعركة .

وهناك أمر آخر مهم جدا .. ففى هذا الاجتماع الذى استمر اكثر من ساعة .. لم يسالنى الملك فيصل عن موعد ساعة الصفر .. وانا هنا ارد على الذين يبررون مواقفهم بالنسبة لكامب ديفيد التى لم يقراوها .. فيبررون موقفهم بحجة اننى لم ابلغهم .. !

وعلى الرغم من طول مدة الحوار .. لم يسالنى فيصل عن ساعة الصفر .. وانما عرف من تلقاء نفسه ان ساعة الصفر تخصنى انا والاسد فقط ولايمكن ان اقولها ـ ليس لعدم ثقتى فيه ـ ولكن لاعتبارات عسكرية .

لذلك كان الملك فيصل نوعا ممتازا وفريدا من القادة العرب الذين صقلتهم التجربة والزمن .. وقبل الزمن والتجربة .. الاصالة والصدق .. لانه ماذا يفعل الزمن والتجربة فى شخص لا اصالة له ولاصدق له ولا خلق له ... ؟

وقد ظن بعض الناس اننى طلبت الى الملك فيصل ان يساعدنا باستخدام البترول ولكن هذا ليس صحيحا ..

فالحقيقة والتاريخ كان كل ماقلته للملك فيصل هو ان مسئوليتى ان نحرك الموقف عسكريا ونحارب .. اما دورك انت فاننى اتركه لك .. فافعل ماتشاء .. وماتقدر عليه ..

وقلت له بالحرف الواحد : « انت رب البيت ورب البيت ادرى بما فيه ومن فيه .. »

ولم يكن الملك فيصل فى حاجة الى ان اقول له اكثر من ذلك .. فهو رجل حكيم .. وقد ادرك كل ذلك بذكائه وفطنته وحنكته السياسية ..

وكان الملك فيصل هو فارس معركة البترول فالبترول العربى هو روح الحضارة الغربية .. وكان يعلم جيدا ان فى امكان العرب ان يقضوا على روح الحضارة الغربية .. فلذلك كان موقف الملك فيصل على راس دول البترول وقرارهم التاريخى بحظره فى خطورة المعركة العسكرية .

وفى اعقاب حرب اكتوبر مباشرة حضر الملك فيصل لزيارة القاهرة .. وذهبنا سويا لزيارة قناة السويس والمواقع التى دارت فيها اشرف معركة عربية ..

واصر الملك فيصل ـ رغم اعتلال صحته ـ ان يعبر الى الضفة الشرقية للقناة سيرا على الاقدام .. ولكن فرحته بالنصر انسته كل شىء ..

وفوق مواقع خط بارليف التى اجتاحتها قواتنا دار حوار تاريخى مؤثر بينى وبين الملك فيصل ..

قلت له :

لقد عبرنا الآن قناة السويس على اقدامنا بعد ان وعدت فصدقت .. وتعهدت فوفيت .. واننا لا ننسى ابدا ولا ينسى الشعب المصرى هذه المساندة فى جميع الخطوات التى حققت النصر واعادت الكرامة والعزة للعرب .. وندعو الله ان يتم عليك الصحة حتى نتم المعركة ان شاء الله معا .

ورد الملك فيصل قائلا :

ان ما قامت به المملكة السعودية ماهو الا واجب قومى لابد ان نؤديه نحو الشقيقة مصر ونحو الأمة العربية وان ماراه الآن يعتبر معجزة للامة العربية جمعاء .. ونحن فى كل وقت نقف الى جانبكم .

وعندما رجعنا للقاهرة .. كانت سعادة الملك فيصل بهذا الانتصار واضحة على ملامحه وظاهرة فى كل تصرفاته واقواله ..

اننى لازال اتخيل هذا الرجل .. ولا تزال كلماته الهادئة ترن فى اذنى .. وقد كانت وفاته خسارة بالغة لى وللسعودية وللامة العربية كلها .. فان الرصاصات التى اطلقت عليه تركت جرحا لا يندمل فى جسد الاسرة السعودية والامة العربية باكملها .. خصوصا وان الجانى كان من نفس العائلة المالكة ..

وفور سماعى بالنبأ الحزين .. سافرت فورا الى المملكة السعودية .. فان خسارتى شخصيا لفادحة .. خسرت اخا عزيزا وصديقا كريما .. كان اكبر عون لى فى كل المواقف .. واعظم نصير فى الكفاح من اجل خيرنا المشترك ونصرة الأمة العربية .

والانسان ماهو الا موقف وحق والتزام .. فالملك فيصل كان رجلا يعرف معنى الخلق ومعنى الصداقة ومعنى الكرامة ومعنى الشرف .. واما الموقف فيه فرجل قلت له فى حياته انك وعدت فصدقت .. وعاهدت فوفيت .. قلت له ذلك فى سياسته واقواله الير هد مماته .. ذاكرا بكل اعتزاز وبكل عرفان .. وبك حبة رجلا كان فى دوره انسانا .. وهذا اعظم مايا رجل ..

وكان فى حياته موقفا .. وهل الانسان الا حق والتزام .. ؟

القوة ...
فوق أرض المستقبل

لاندروفر

LAND ROVER

قاهرة الصحراء

بيك آب ١٠٩
بضاعة حاضرة
استيشن واجن ١٠٩
بأسبقية الحجز

مصر لاند روفر

القاهرة : ٣٤ ميدان شاهين - العجوزة
الإسكندرية : ٢٢ طريق الحرية ت ٢٩٨١٤/٢٣٠٠٢/٠٨٧

باركر ٥٠

مفهوم مثير فى تصميم الاقلام . فالقالب الانسيابى والرأس حُفرا معاً فى قطعة واحدة من الفولاذ الذى لا يصدأ . يتوفر فى طرازين جذابين . الاول من فولاذ ناعم لا يصدأ . والثانى طلى بمادة الايبوكسى أنيقة ، كما صُقل مشبك الاثنين بالذهب . ويتوفر مع الطرازين قلم حبر جاف وقلم خرطوش . باركر ٥٠ يقدم لك الجودة التى لا تقدمها سوى أقلام باركر .

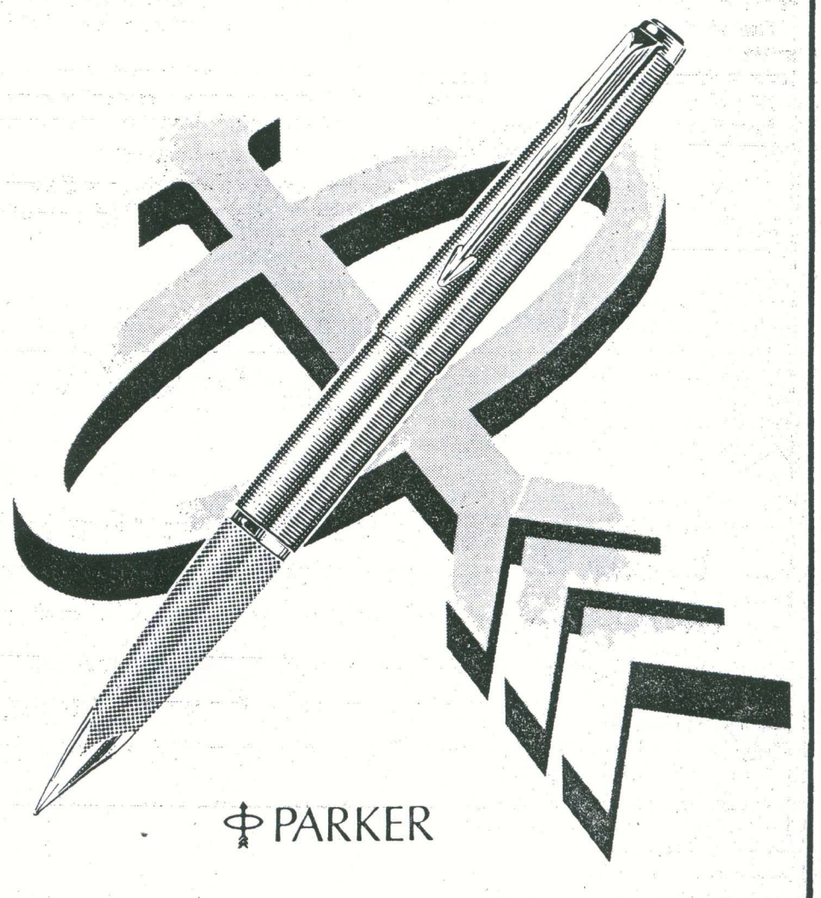

PARKER